كامل كيلاني

قصص علمية

النحلة العاملة

دار المعارف

كامل كيلانى

قصص علمية

النحلة العاملة

الطبعة العاشرة

دار المعارف
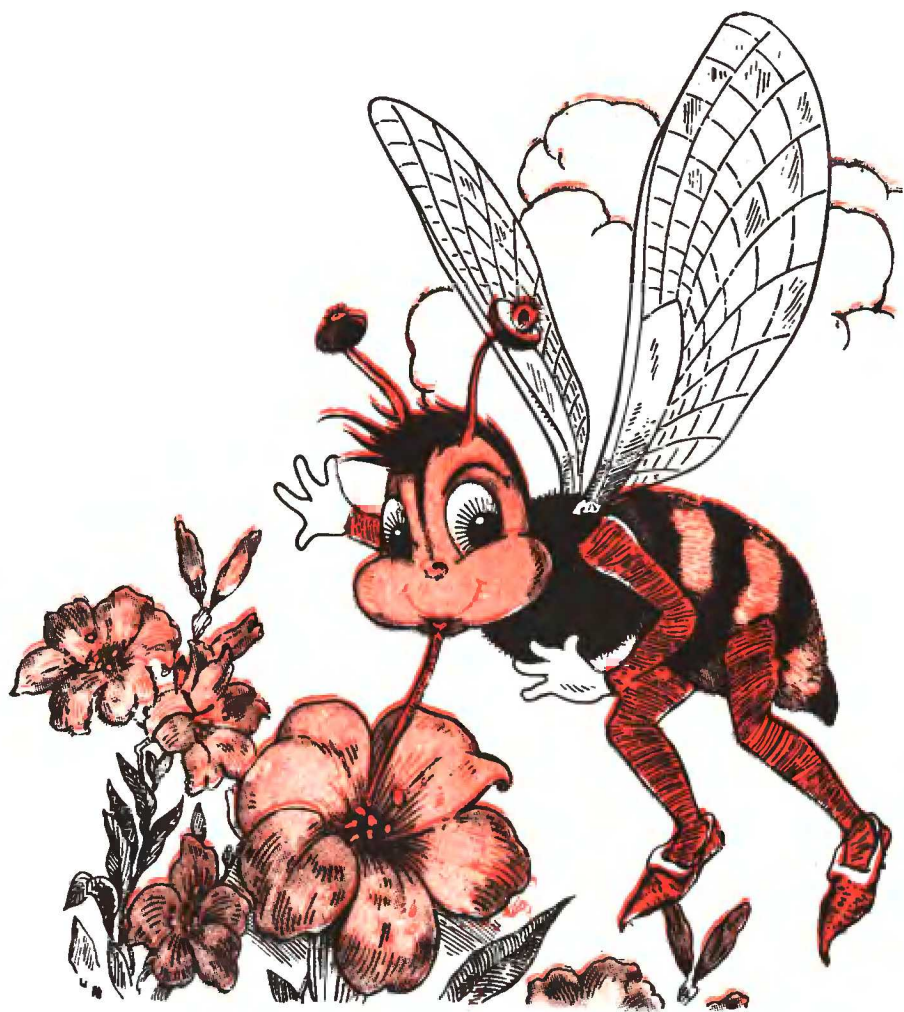
١ – جَمالُ الرِّيفِ

كان « صفاءُ » و « سُعادُ » مُبْتَهِجَيْنِ بِما رأَياهُ مِنْ جمال الرِّيفِ .

وقد شكرا لِأَبيهِما صَنيعَهُ (مَعْرُوفَهُ) الذى أسْداهُ (أَحْسَنَ بِهِ) إليهما ، إذْ أتاحَ لهما أن يَقضِيا شطرًا كبيرًا مِنَ العُطْلَةِ الصَّيفِيَّةِ فى دَسْكَرتِهِ (مَزْرَعَتِهِ) . وَكان قَدِ اشْتَرى هٰذِهِ الدسْكَرَةَ فى العامِ الماضى .

وقد أَعْجَبهما منَ الرِّيف : سِحْرُهُ المُتَجَدِّدُ ، وهواؤُه النَّقِيُّ ، ومَناظِرُه الفاتِنَةُ . وكانا يستيقظان كلَّ يوم — فى الصباحِ الباكِرِ — لِيَمْتَعا برؤيةِ شروقِ الشمس ، وَتغريدِ الطُّيور . وليس أرْوَحَ للنفسِ ، وأبهجَ للعَيْنِ ، وأَمْتَعَ للأُذنِ ، من التَّفرُّجِ (التَّخَلُّصِ مِنَ الضِّيقِ) بروائعِ الرِّيفِ ومَفاتِنهِ .

* * *

فإذا طلع الفَجْرُ ، استيقظَتِ الزَّرازيرُ ، وخَرجتْ من أوكارِها ، تستقبلُ نُورَ الصَّباحِ فى بَهْجَةٍ وَانْشِراحٍ ، وظَلَّتْ تُزَقزِقُ فرحانةً مَرِحةً ، كأَنما تَهتِفُ بالشَّمْسِ وتُحَيِّيها . ثُمَّ تنْبَعِثُ — على أَثَرِ ذلك — آلافٌ من الأغاريدِ العذْبةِ ، من المَرْجِ (الْأَرضِ الْمفرُوشَةِ بِالنَّباتِ) والْحَقْلِ ، والسَّهْلِ والْجَبل . فترِنُّ تلك الأغاريدُ ، متصاعدةً أنغامُها المُطرِبة

فى الهواءِ مُؤْذِنَةً بطلوعِ الصباحِ ، مُبَشِّرَةً بمَقْدَم الشمسِ ، الْحَبيبِ إلى كل نَفْسٍ . فَيَهُبُّ النائمُ ، ويستيقِظُ الوسْنانُ ، وقدِ استعاد نَشاطَهُ ، واستقبل يومَهُ ، بعزيمةٍ مُجَدَّدَةٍ ، وآمالٍ فَسِيحَةٍ .

* * *

وتَرَى النحلةَ العاملةَ تطيرُ من فَنَنٍ إلى فَنَنٍ ، وتتنقَّلُ من زهرَةٍ إلى زهْرةٍ ، وهى تَطِنُّ فرحانة ، وتقول :

« لقد حانَ وقتُ العملِ ، وانقضَتْ فَتْرَةُ النومِ . وليس يَليقُ بى أَنْ أتأخَّرَ عن أَداءِ ما علىّ من فُروضٍ وواجباتٍ ، لخَيْرِ الناسِ ، ونفعِ الإنسانيَّةِ . ولقد سبقَتْنى من أسْرابِ النّمْلِ « أُمُّ مازِن » و « أُمُّ مشغولٍ » وإخْوَتُهما ، وخرجتْ من مساكِنِها ، باحثةً عن طعامِ يومِها ، فى جِدٍّ ونشاطٍ عجيبَيْن . »

ويَهُبُّ الفَرَاشُ من نومِه ، وقد استجدّ نشاطَه ، ويَرِفُّ بجَناحَيْه — وقد بلَّلَهما الندَى — ويطيرُ إلى الأزْهارِ التى لمَّا تتفتّحْ أكمامُها (لَمْ يَتَفَتَّحْ وَرَقُها الّذِى يُغَطِّيها بَعْدُ) .

* * *

ثم تَمشى قُطعانُ الغنمِ (جَماعاتُها) إلى مرعاها الخِصْبِ ، وتَرِنُّ أجراسُها

الصغيرةُ فى أثناءِ سيرِها ، حتى تصلَ إلى الحقلِ ، حيث تَقْضى يومَها سعيدةً وادعةً . فإذا مالَتِ الشمسُ للغُروب ، عادتِ الأطيارُ إلى أوكارِها ، وأخْفَتْ رءُوسَها تحت أجنحَتِها ، وضَمّتِ الزّهراتُ أكمامَها ، وهدأَتْ أصواتُ الكائناتِ ، فلا تسمع فى سُكونِ الليلِ إلّا أغاريدَ البُلبُل العذبةَ ، يُرْسِلُها من أعلَى فَنَنٍ (غُصْنٍ) فى دَوْحَتِهِ ، وقد فاضَ قلبُه سُرُورًا ، فأَوْدَعَ أنْغامَه الْمُطْرِبةَ أحلامَ السعادة التى يَنْشُدُها .

وتُضِيءُ النجومُ فيخالُها (فيَظُنُّها) الرائى مصابيحَ صغيرةً ، مُعلّقَةً فى السماءِ . ثم يسطَعُ نورُ القمر الفِضّىُّ ، ويرسِلُ أَشِعّتَه على الكون ، فيملؤُه بهجة ورَوْعَةً ، ويُضْفى من سِحْرِهِ على الحقول والمُروج ، فيَزيدُها فِتْنَةً إلى فتنَتِها .

ثم تَخْرُجُ الحَشَراتُ من مخابِئِها ، وتستيقظُ حارساتُ النباتِ ، لِتَسْهَرَ على نباتِ الْحَقْل وحُبوبِه ، فتخرُج أمُّ الصِّبيان : تلك البومةُ الناعِبَةُ ، وتَظْهَرُ الخَفافيشُ والقنافذُ من مكامِنِها ، ذاهبَةً إلى الحُقول فى غير ضَجّةٍ ، مُرْهفَةً آذانَها ، متربِّصَةً بالحشراتِ المُؤْذِيَة ، فَتَفْتِكُ بأعداءِ الفلّاحِ ، وتلتَهِمُها فى غير رحمةٍ .

فإذا انتصف الليلُ ، رأيتَ كلبَ الحِراسة لا يزال ساهرًا يَقِظاً أمام الدَّارِ ، وقد نام صاحبُه . فيخيِّل إليك — فِي وِقفَتِهِ الحازِمَةِ — أنه شُرْطِيٌّ يتأهَّب (يَسْتَعِدُّ) للقَبْض على الأشرارِ !

فإذا استيقظتِ الخَنْساءُ — تلك البقرةُ السمراءُ — سَمِعْتَها تقول : « ما أسعدَها ليلةً قَضَيْتُها ناعِمَةَ البالِ ! »

* * *

ثمَّ تلتفِتُ إلى صديقِها الجوادِ (الحِصانِ) ، قائلةً :

« انهضْ من سُباتِك يا لاحِقُ ، فقد حانَ وقتُ العملِ ! »

فَيُحَيِّيها صديقُها « لاحِقٌ » ، وهو يضربُ الأرضَ بِسُنْبُكِهِ (حافِره) ويُجيبُها : « صدقتِ يا خنساءُ . فقد حُقَّ علينا أن نَعْمَلَ ، وما خُلِقْنا إلَّا لِنَعْمَلَ . وهأنذا أترقبُ فَطُورى ، لأستَجِدَّ به قُوَّتى و نشاطى . فإنَّ عملى — فى هذا اليوم — شاقٌّ مُتعِبٌ . . . . أَرهِفِى أُذُنَيْكِ ، يا خَنْساءُ . ألا تَسْمَعِين صوتَ السَّيِّدِ ، وهو يُعِدُّ المِحْراثَ فى فِناءِ الدَّارِ؟ »

و بعد قليل تَرَى الخنساءَ ، وصديقَها لاحِقًا : دائِبَيْنِ على العمل ، فى جِدٍّ

ونشاط ، لِسَقْىِ الحشائِشِ والأزهار . وهِىَ تجْرَعُ الماءَ فى شَرَهٍ عجيبٍ ، لِتُرْوِىَ ظمأَها الشديدَ .

وتخرجُ الدِّيدانُ من شُقُوقِ الأرضِ ، وتَسْلُكُ طريقَها فى الوحَل ، وهى بهذا جِدُّ سعيدةٍ .

ثم يجرى « الحلزون » فى الْمَمْشَى الرَّطْبِ ، وتقْفِزُ الضفادعُ على حافاتِ الْحُفَرِ ، وتَخْرُجِ البِرَصَةُ من مخابئها . حتى إذا انقضى النهارُ ، شبِع هؤلاءِ جميعًا ، ولم يَبْقَ لهذه الكائناتِ إلّا أن تَنامَ .

وترى الْحُصّادَ الّذِينَ يَجْمَعُونَ الثِّمارَ عائدين — وقتَ الغروبِ — إلى ديارهم ، وهم يُغَنُّون فرحينَ مبتهجين ، يشكرون لِلّهِ — سبحانَهُ — ما أسبَغه (ما أَوْسَعَه وأَتَمَّهُ) عليهم من نِعْمَةٍ ، وما رَزَقَهُمْ من خيْرٍ .

٢ — أُنْشُودَةُ الْيعْسُوبِ

فى هذا الْجوِّ الْمَرِحِ ، وبَيْنَ تِلكَ الْمباهِجِ الفاتنةِ ، والْمَظاهِرِ الْجَمِيلَةِ : عاشَ « صفاءُ » و « سُعادُ » . فلا غَرْوَ إذا تملَّكَهُما حُبُّ الرِّيفِ ، والإعجابُ بِجمالِهِ ، وَوَدَّا لو قضيا كلَّ وقتِهما فيه !

وَذا صباحٍ ، كان « صفاءُ » و « سعادُ » جاثِمَيْنِ عَلَى بِساطٍ سُنْدُسِيٍّ (حَرِيرِيٍّ) أخْضَرَ (وهُوَ الزَّرْعُ النّاضِرُ الْبَهِيجُ) ، فى حديقةِ الدّارِ . وكان ذلك المكانُ هو أحبَّ أماكن الريفِ إليهما . وإنهما ليَنْعَمان

بما يكتنِفُهما (يُحِيطُ بهما) من المناظر الجذّابة ، إذْ طرَق أسماعَهُما صوتٌ رقيقٌ يناديهما ، فى عُذُوبَةٍ وتَوَدُّدٍ :

« إلىّ يا سُعادُ ! إلىّ يا صفاءُ ! »

فَتَلَفَّتا — يَمْنَةً ويَسْرَةً — ونَظَرا إلى علٍ ، فلم يَرَيا أحدًا .

فقالت « سُعادُ » :

« ما أغْرَبَ هذا الصَّوْتَ ! تُرَى : مَن يُنادينا ؟ »

فعادَ الصَّوْتُ — مرةً أخرَى — يقول :

« لا غَرابَةَ فى ذٰلكِ يا عزيزتى ! »

فأخذا يُحَدِّقان ، ويَبْحثان فِى كلِّ مكانٍ ، لعلّهما يهتديان إلى مَصْدَرِ الصوتِ . وأجالا أبصارَهما فى الأَزْهارِ والأشجارِ ، فلم يَشْهَدا أحدًا مِن الناسِ .

فقال « صفاءٌ » :

« هذا صوتٌ عجيبٌ ، لم أسمعْ له مثيلًا ، طُولَ عمرى . فأين صاحبُه يا تُرى ؟ »

فقال الصَّوْتُ :

« أُقسِمُ بِعَسَلِيَ الشَّهِيِّ اللذيذِ : إنَّكما لن تستطيعا الاهتداءَ إلىّ مهما تَبْذُلا مِنْ جُهدٍ ! »

ثم استأنف الصَّوْتُ قائلاً ، فى نَغْمَةٍ بهيجةٍ :

« أنا يعْسُوبٌ نَشِيطٌ وأنا أمُّ الخَلِيَّهْ
أنا فى النَّحْل أميرٌ خادِمٌ بينَ الرَّعِيَّهْ

* * *

عسَلِي حُلْوٌ لذيذٌ عسلى أشْهَى غِذاءْ
فَكُلُوهُ فى فُطُورٍ وغَداءٍ وعَشاءْ

* * *

عَسَلِي خيرُ طعامٍ لِصَحِيحٍ وسَقِيمْ
هلْ عرَفْتُمْ أنَّ شُهْدِي مَصْدَرُ الْخَيْرِ الْعَمِيمْ ؟

* * *

أنفعُ النَّاسَ ، وحَسْبِي أَنَّنِي أَحْيا لِأَنْفَعْ
أَنفعُ النَّاسَ ، ومالِي غَيْرُ نَفْعِ النَّاسِ مَطْمَعْ . »

فابتهجَ الشَّقِيقانِ بِسَماعِ هذه الأُنْشُودةِ الْجميلةِ ، وأُعْجِبا بِغِناءِ

الْيَعْسُوبِ أَيّما إعْجابٍ . وتَلَفَّتا ، فرأيا أَميرةً من أميراتِ النَّحْل ، ذاتَ فِرَاءٍ ، يَميلُ لوْنُها إلى السَّوادِ ، يُمازِجُه لَوْنٌ بُرْتُقالِيٌّ ، وهى واقفةٌ على إحْدَى الزّهَراتِ الْقَرِيبَةِ منهما ، وقد تأَلَّقَ مُحَيَّاها البَهِىُّ (لَمَعَ وَجْهُها الْحَسَن) ، وبَدا فى مِثْلِ جَمالِ الْوَرْدِ ، ولَمعتْ عيناها الواسعتانِ ، وبَدا جَناحاها اللطيفانِ ، وقد كساهما ريشٌ خفيفٌ ، وهما يتهاديان (يَتمايَلانِ) إلى الأَمامِ تارةً ، وإلى الوراءِ تارةً أُخْرَى . ورَأَيا — فى كِلْتا يدَيْها — قُفّازَيْنِ لامِعَيْنِ ، أَصْفَرَيْنِ . كما رأيا فى — قدَمَيْها — حِذاءَيْنِ برّاقَيْنِ ، يُخَيِّلانِ — لِمَنْ يراهُما — أَنّهما قَدْ صُنِعا مِنْ أَدِيمٍ (جِلْدٍ) ثمينٍ مَصْقُولٍ (ناعِمِ الْمَلْمَسِ) .

وَأَبْصَرا ذلك الْيَعْسُوبَ الظَّرِيفَ يَحْمِلُ قَوْسًا — بُرْتُقالِيَّ اللَّوْنِ — تَحْتَ ذَقَنِه . وقد شاعَتْ على فَمِهِ ابْتِسامَةٌ زاهِيَةٌ ، تَتَمَثَّلُ لكَ فيها أحلامُهُ البَهِيجَةُ (السَّارَّةُ) .

٣ — حِوارُ النَّحْلَةِ

ثُمَّ اقترَبَتِ اليَعْسُوبُ من « سُعادَ » ، ووقَفَتْ إلى جِوارِها .

ففرِحَتْ برؤيَتِها، وقالتْ لها:

« لَقَدْ عَرَفْتُكِ، أيتها الصَّدِيقَةُ الكَرِيمَةُ. فأنت — بِلا رَيْبٍ (بلا شَكٍّ) — مَلِكَةُ النحل التى طالما حدَّثَنا عنها أساتِذَتُنا وأَهْلُونا. »

فقالت « اليعسوبُ »: « صدقتِ يا سعادُ، ولم تُخْطِئى جادَّةَ الرَّأْىِ (طَرِيقَ الصَّوابِ). »

ثُمَّ اسْتَأْنَفَتْ حَدِيثَهَا، مُغَنِّيَةً الأُنْشُودَةَ التَّالِيَةَ:

« النَّحْلُ أَنْشَطُ عامِلٍ وأَبَرُّ مَخْلوقٍ بِكُمْ
فى شُهْدِهِ أَشْهَى الْغِذَا ءِ، وشَمْعُهُ نُورٌ لَكُمْ
أَجْدَى عليكمْ من دَجا جٍ، صائحٍ فى بيتِكمْ
أَجدى عليكم من جِدا ءٍ، رُتَّعٍ فى حقلِكمْ
أَجدى عليكم من نِعا جٍ، ثاغِياتٍ عندَكمْ
وأَبَرُّ مِنْ بقراتِكم وأَجَلُّ من نَخَلاتِكمْ
ومِنَ الجيادِ الصَّافِنا تِ، وما حَوتْه أرضُكمْ »

فابتسمتْ « سعادُ »، وقالتْ مبتهِجَةً:

« ما أظرفَها أُغْنِيَّةً، وما أجملَه صَوْتًا، وما أصدَقَه كلامًا! »

فقال « صفاءُ » :

« ولٰكنَّكِ شديدةُ الزَّهْــوِ ،

أيتها النحلةُ

الكريمةُ .

فإن عسلَكِ

اللّذيذَ الطعم — على ما فيهِ

من فوائدَ جليلةٍ — هو

أقلُّ نفْعًا من صُوفِ الغنمِ .

على أنّ كلّ جِنْسٍ من

أجناس المَخْلوقاتِ يرَى

نفسَه أجدرَ من غيرِه

بالفخرِ ، وأحقّ مِن سِواهُ

بالإعجابِ ! »

فقالت « سعادُ » :

« إن فوائدَ النّحلِ ومنافِعه جليلةٌ ، لا يُحْصِيها العَدُّ . »

فقالت اليَعسوبُ :

« ألا تَعْلَمان أنَّ فى عسلى شفـاءً للمريضِ ، وقوَّةً للسَّقيم ، وجَلاءً للصَّوْتِ ؟ ألم تسمعا أن المُغَنِّين والمُغنيِّاتِ ، والمُمَثِّلينَ والممثلاتِ ، يأكلون من شَهْدِى ، قُبَيْلَ الغِناءِ أو التمثيلِ ، ليُجَوِّدُوا فى غنائِهم ، ويُطْلِقُوا مِنْ ألسنَتِهم ؟ »

فقال « صفاءٌ » :

« لعلَّك فى عُطْلَةٍ مِثْلَنا ، أيتها النَّحْلَةُ الـكريمة ؟ »

فقالت له مَلِكَةُ النَّحْلِ :

« لستُ فى عُطلَةٍ ، كما تظنُّ . ولـكنَّنِى قادمَةٌ من رِحلةٍ شاقةٍ . وقد جئتُـكما من بَلَدٍ بعيدٍ لأُشاهِدَكما ، وأتَحدَّثَ إليـكما بأعذبِ الأحاديثِ التى تُعْجِبُـكم وتُطْرِبُـكم . »

فقالت « سعادُ » :

« ما أشهى حديثَكِ ، أيَّتُها اليَعسوبُ ، فَحَدِّثينا بِما تشائين . »

وقال « صفاءٌ » :

« كيف قطعتِ المَسافاتِ الشاسِعَةَ (الْواسِعَةَ) ، حتى وصَلْتِ إلينا ؟ »

فقالت اليعسوبُ :

« ليس أقدرَ منا — مَعْشَرَ النَّحْلِ — على قطعِ المسافاتِ البعيدةِ ، في خِفَّةٍ وسُرْعَةٍ . ألا تعلمُ — ياصفاءُ — أن النحلةَ قادِرَةٌ على الطَّيرانِ إلى الأَمامِ والْخَلْفِ على السَّواءِ ؟ ألا تعلمُ أننا نقطعُ زُهاءَ (نَحْوَ) عشرين مِيلاً في الساعةِ ، إذا اعتزمْنا السفرَ من بلدٍ إلى آخرَ ؟ إن النحلةَ — يا عزيزي — تقطَعُ قُرابَةَ هذه المسافةِ ، ما دامت غيرَ مُثقَّلةٍ بالعسلِ ، أو بما تجْنِيه من الأزهارِ . وليس يَعُوقُنا عن الطيرانِ بِمثلِ هذه السرعةِ إلَّا أن تَهُبَّ الرياحُ المُعاكِسَة لِسَيْرِنا ، فتعْترِضَنا في طريقِنا ، وتَعُوقَنا عن الوصولِ بِمِثْلِ هٰذه السرعَةِ . وربَّما مَطَرتِ السماءُ ، فاختبأنا بين أوراق الأزهار ، أو انزَوَيْنا (استَخْفَيْنا) في ثُقوب الجُدْران ، حتّى إذا كَفَّ المَطَرُ (وقَفَ) ، واصلْنا الطَّيرانَ . »

٤ — أجنحة النحل

فقال « صفاءٌ » :

« ما أظرَفَ أجنحتَك الغِشائيَّةَ (الرَّقيقةَ ، الّتي تُشْبِهُ الْغِشاءَ الخفِيفَ) !

ولـكـننى أعجَبُ مِنِ اختلافِ أجْنحةِ النحلِ ! »

فقالت اليعسوبُ :

« إن الأجنحةَ تختلف — بِلا شَكٍّ — تبـعًا لاختلافِ النوع . فأَجنحةُ النحلَةِ العاملَةِ ، إذا تأمَّلْتَها ، رأيتَها أقصرَ أجنحةِ النحل جميعًا . على حين ترى أن أجْنحةَ « اليَمْخُورِ » هى أكبرُ أجنحةِ النحلِ . »

فقالت « سعادُ » :

« ما أكثرَ أرجُلَكِ ، أيـتُها اليعسوبُ ! »

فقالتِ « اليَعسوبُ » :

« إنَّ لـكُلِّ نَحْلةٍ — متى كَمُلَ نُمُوُّ جسمِها ، وتمَّ تكوينُها — ستَّ أرجلٍ . »

فقال « صفاءُ » :

« خَبِّرينى — أيتهـا النحلةُ الذَّكيةُ — فى أىِّ مكان من جسمِكِ تَخْزُنين العسلَ ؟ »

فقالت « اليعسوبُ » :

« للنحلةِ العاملةِ كيسٌ فى مُقدَّمةِ بطنِها ، وهو مُسْتَوْدَعُ الرَّحيقِ

مكتبة الأطفال بقلم كامل كيلانى

قصص فكاهية

١ عمارة . ٢ الأرنب الذكى .
٣ عفاريت اللصوص . ٤ نعمان .
٥ العرندس . ٦ أبو الحسن .
٧ حذاء الطنبورى . ٨ بنت الصباغ .

قصص من ألف ليلة

١ بابا عبد الله والدرويش .
٢ أبو صير وأبو قير . ٣ على بابا .
٤ عبد الله البرى وعبد الله البحرى .
٥ الملك عجيب . ٦ خسروشاه .
٧ السندباد البحرى . ٨ علاء الدين .
٩ تاجر بغداد . ١٠ مدينة النحاس .

قصص هندية

١ الشيخ الهندى . ٢ الوزير السجين .
٣ الأميرة القاسية . ٤ خاتم الذكرى .
٥ شبكة الموت . ٦ فى غابة الشياطين .
٧ صراع الأخوين .

قصص شكسبير

١ العاصفة . ٢ تاجر البندقية .
٣ يوليوس قيصر . ٤ الملك لير .

أساطير العالم

١ الملك ميداس . ٢ فى بلاد العجائب .
٣ القصر الهندى . ٤ قصاص الأثر .
٥ بطل أثينا . ٦ الفيل الأبيض .

قصص علمية

١ أصدقاء الربيع . ٢ زهرة البرسيم .
٣ فى الاصطبل . ٤ جبارة الغابة .
٥ أسرة السناجيب . ٦ أم سند وأم هند .
٧ الصديقتان . ٨ أم مازن .
٩ العنكب الحزين . ١٠ النحلة العاملة .

أشهر القصص

١ جلفر فى بلاد الأقزام .
٢ « فى بلاد العمالقة .
٣ « فى الجزيرة الطيارة .
٤ « فى جزيرة الجياد الناطقة .
٥ روبنسن كروزو .

قصص عربية

١ حى بن يقظان . ٢ ابن جبير

قصص تمثيلية

١ الملك النجار .

دار المعارف